



خلال الأشهر الأربعة تكسرت آمال كثرين في أن تكون الجامعة العربية هي بوابة حسم للأزمة السورية. لقد لعبت الجامعة العربية دوراً سيئاً، عن علم أو عن جهل، فعطلت المبادرات الدولية الفردية، وأقصت عن عدم تركيا، وأطالت إدارة الأزمة لأشهر، وأخيراً زودت نظام الأسد بتقرير براءة يلقي اللوم على القتلى وأهاليهم، تحت اسم المراقبين العرب.. كيف؟ ولماذا؟

حيرتنا مواقف الجامعة المتناقضة، كاشفة عن صراع معسكرين، مع وضد، في المسألة السورية. في البداية كان موقف الجامعة متفاعلاً، حيث أظهرت استعدادها لاتخاذ أقصى عقوبة ضد النظام بعد ثمانية أشهر من الأزمة من قتل مستمر استهدف المدنيين ضمن سياسة الترهيب لوقف الاحتجاجات. الطرد هو أقصى عقوبة يمكن للجامعة أن تعاقب بها أي نظام عضو فيها. قرر مجلس وزراء الخارجية العرب في 12 نوفمبر (تشرين الثاني) تعليق عضوية سوريا في الجامعة إن لم يتوقف النظام السوري عن القمع خلال أربعة أسابيع، 18 دولة أيدت التعليق ودولتان فقط عارضتا. رد عليها بشتائم ساخرة بأنها أصبحت ألعوبة في يد الغرب.

لم يكن في أروقة الجامعة سوى بضعة سفراء قالوا بدعم الأسد، مثل اليمن والجزائر والسودان، في مشهد نادر ضد نظام عربي كبير. لاحقاً انتقل القمع السوري للجامعة علينا.. تحدث سفير الأسد على الإعلام بكلام يذيع ضد الجامعة والدول المضادة. وقيل حينها: إنه طلب من دمشق تغيير سفيرها بسبب إساءاته لكن الأسد تحداهم وأبقى عليه.

تساءلنا: إذا كانت قيادة الجامعة عاجزة حتى عن طرد سفير وقع، فكيف تقدر على نظام شرس؟ لم يطرد السفير ولم تعلق عضوية سوريا. ثم تبين لاحقاً أن الأسديين تمكنا من اختراق الجامعة حيث تراحت مواقفها، ولغتها، وأفكارها. وذات مرة تجرأ أحد كبار موظفي الجامعة العربية واتصل بقناة «العربية» مستنكرةً وصارخاً على الهاتف: «هل تريدون أن تجعلوا سوريا ليبيا أخرى؟!»، كان ذلك حدثاً خارج البث. هكذا يفكرون موظفو الجامعة وبينهم محسوبون على دمشق!

والطاقة الكبرى ميل الأمين العام الجديد لدمشق! هل هذا حقاً موقف نبيل العربي أم موقف السلطة المصرية، تاريخياً صاحبة اليد الطولى في مواقف الأمين العام؛ ولماذا مصر الثورة تقف مع أبغض الأنظمة العربية، وأكثرها وحشية في أيام ملطخة بالدم؟ الحقيقة لم نجد دليلاً يؤكّد ذلك. ثم حامت الشكوك حول مصاہراته، خاصة أنه موقف مقارب لموقف المفكر

المعروف محمد حسنين هيكل، بأن ما حدث في ليبيا، يحدث في سوريا، جزء من مؤامرة غربية، بما يعني ذلك من تحريف لشعبين عاشا ظلماً تحت نظامين لا مثيل لهما في العالم العربي. لكن من الصعب أن نجزم بال موقف الفكري الشخصي، فهو محكوم بوظيفته المقيدة. وفي تصوري لا يعقل، حتى لو كان مؤمناً بفكرة المؤامرة السخيفة هذه، أن يتخذ موقفاً سيسجل تاريخياً ضده لصالح نظام آيل للسقوط. لا يهمنا رأيه، أقواله وأفعاله أثارت الشارع العربي حزناً وغضباً.

فجأة ولدت فكرة غبية جداً.. إرسال مراقبين لمعرفة ما يحدث هناك، بما تعنيه من تشكيك. والأسوأ كلف بقيادتهم جنرال مخابرات ينتمي إلى نظام البشير السوداني، المتحالف مع الأسد أصلاً. ولو لا أن الموقف القطري، الذي يشغل منصب رئيسة المجلس الوزاري للجامعة والمعهد بإدارة الأزمة السورية، منحاز مع انتفاضة الشعب السوري لقوله: «وراء الأكمة ما وراءها». استخفافاً بالجامعة زاد النظام السوري من قمعه ووحشيته، وازداد عدد القتلى. وبدل أن تكون الجامعة العربية فرس الرهان لإنقاذ الشعب السوري صارت الجامعة العربية حصان طروادة للأسد. استخدمها لتعطيل المبادرات الأوروبية، وتقطيم العالم بانقسام العرب. ثم اتضحت مهزلة المراقبين بتقرير كتبه ضابط المخابرات السوداني، فيه يزعم أن الجرائم من الطرفين، من الأهالي الضحايا والنظام! وهو التقرير الذي اتكاً عليه الروس في مجلس الأمن لاستخدام حق النقض، الذي أعاد الابتسامة إلى وجه الأسد وصدم ملايين العرب في كل مكان. كانت النتيجة متوقعة سلفاً منذ أن طرحت فكرة المراقبين.

ولو لم تفعل الجامعة شيئاً وكانت النتيجة أفضل، لأن المجتمع الدولي عادة يتبنى مواقف فردية، إلا أن وجود رابطة إقليمية، أي الجامعة العربية في حالتنا، اضطر الجميع إلى السير وراءها. لقد تم استخدام الجامعة لمنع التحرك الأوروبي، واستخدمت للتأمر على تركيا في اجتماع الرباط وأقصيت تحت عنوان «الحل العربي»، المعنى به إبعاد الأتراك. **الأتراك غضبوا وقالوا صراحة: «سنترك لكم الأمر تتذمرون»،** وهم عارفون أنه لا توجد دولة قادرة على التصدي للنظام السوري سوى تركيا.

المصدر: الشرق الأوسط

المصادر: